إطار تفسيري لإشكـالـية تقسيم العمل والأدوار بين الجنسين

وهيبة عيساوة
جامعة عمار ثليجي -الأغواط -مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية
wahiaiss@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/02/29؛ تاريخ القبول: 2020/07/05

An explanatory framework for the problem of division of labour and gender roles

Aissaoua Ouahiba

Abstract: This paper is based on a contemporary problem that we are now experiencing in search of its roots in the past as the product of a long historical process, with contemporary issues about gender and the social and economic integration of women in the development phase, in which we present a detailed picture that answers more than questions about the division of labour and gender roles, by asking the problems associated with this phenomenon and understanding its determinants and the interpretive framework for it.

The most important finding is that the problem of the division of labour and gender roles has historically been shaped by the existence of determinants that have played a functional role in the production and reproduction of women, and have been established as the basis for social organization at the level of social organization at the level of the field, practice and social representations, as well as at the level of commitment to the social, political and economic boundaries of both men and women.

Keywords: division of Labor between the sexes; relationship between sexes; roles of women and men; principle of differentiation between sexes; work of men and women.

الملخص:

تنطلق هذه الورقة البحثية من مشكلة معاصرة نعيشها الآن للبحث عن جذورها في الماضي كنتاج عملية تاريخية طويلة، بما تطرحه القضايا

المعاصرة حول الجندر والاندماج الاجتماعي والاقتصادي للمرأة في مرحلة التنمية، نقدم فيها صورة تفصيلية تجيب بإجابات أكثر مما تقدم تساؤلات حول تقسيم العمل والأدوار بين الجنسين، بطرح الإشكالي المرتبطة بهذه الظاهرة وفهم محدداتها والإطار التفسيري لها.

وأهم ما توصل اليه هو أن إشكالية تقسيم العمل والأدوار بين الجنسين تم تشكيلها تاريخيا، من خلال وجود محددات كان لها دورا وظيفيا في إنتاج وإعادة إنتاجها، وتم تثبيتها كأساس للتنظيم الاجتماعي على مستوى المجال والممارسة والتمثلات الاجتماعية، وكذلك على مستوى التزام الحدود الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل من الرجل والمرأة.

الكلمات المفتاحية: تقسيم العمل بين الجنسين؛ العلاقة بين الجنسين؛ أدوار المرأة والرجل؛ مبدأ التمايز بين الجنسين؛ عمل الرجل والمرأة.

مقدمة:

تنطلق هذه الورقة البحثية من مشكلة معاصرة نعيشها الآن للبحث عن جذورها في الماضي كنتاج عملية تاريخية طويلة، بما تطرحه القضايا من المواضيع التي يتم تداولها في السنين الأخيرة مسألة "المشاركة" بالنسبة للمرأة من حيث أشكالها ومستوياتها، وما يرتبط بذلك من إدماج مهني واجتماعي واقتصادي وسياسي، وقد كان للتقارير والخبرات التي تعدها الهيئات التابعة لمنظمات الأمم المتحدة مثل برنامج الأمم المتحدة للتنمية وصندوق الأمم المتحدة للمرأة إضافة إلى التقارير العربية للتنمية البشرية دورا مهما في توجيه الاهتمام بمسألة إدماج المرأة، كما أن المواثيق الدولية أقرت المساواة المهنية بين الجنسين وضرورة توصيف العمل بشكل علمي يهدف الى فلسفة استخدام متوازنة لكل الطاقات البشرية من شأنها أن تفتح المجال للمرأة في كل المجالات وكل القطاعات والمهن دون التمايز الجنسي، إذ هناك مهن يمكن أن تبدع فيها المرأة أكثر من الرجل والعكس.

إذا تتبعنا المسار التاريخي لتقسيم العمل نجده ذو طابع خاص يتعلق بإنتاج التمايز الجنسي، ينظر الى دور المرأة مكمل لدور الرجل وفي مرتبة التبعية، ويتولى كل من الرجل والمرأة وظائف تخص كل واحد

منهما، وتعتبر الذكورة والأنوثة مبدأين عالميين ينظمان الكون بتوزيع الأدوار والوظائف.

إلا أنه من غير الممكن تقييم فاعلية مشاركة المرأة بدون فهم بصورة تفصيلية مسالة نموذج توزيع الأدوار والسلطة والمسؤولية، من حيث تنظيم العمل على مبدأ التمايز بين الجنسين والتكامل في الوظائف.

ومن هذا المنطلق فإننا نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى طرح ظاهرة تقسيم العمل والأدوار بين الجنسين كإطار تفسيري، بتوليد الأدوات المعرفية والتحليلية للأبعاد المتضمنة لها في التنظيم الاجتماعي والتي حددت تاريخيا، من توزيع المجال والممارسات وفي التمثلات الاجتماعية والتي حددت تاريخيا، والتزام الحدود الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل من الرجل والمرأة. من خلال هذا المنطلق نناقش في هذه الورقة الإشكالية التالية: أين تكمن إشكالية تقسيم العمل بين الجنسين؟ لتتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

- ماهي محددات ظاهرة تقسيم العمل والأدوار حسب الجنس؟
- ماهي التفسيرات المرتبطة بتقسيم العمل بين الجنسين حسب العلاقة القائمة بينهما؟

1. محددات ظاهرة تقسيم العمل والأدوار حسب الجنس :

يقوم تقسيم العمل على نموذج توزيع الأدوار والسلطة والمسؤولية على مبدأ التمايز بين الجنسين والتكامل في الوظائف بفصل مفهوم الحياة الإنتاجية، ويوجد هناك تداخل بين المجال والنشاطات الممارسة من طرف الجنسين، كما يقوم على أساس التفرقة الجنسية بما يتضمنه التنظيم الاجتماعي من توزيع المجال والممارسات، وفي التمثلات الاجتماعية من طقوس وأساطير.

1.1 خصائص العمل:

إن البحث في خصائص العمل هو معرفة وزن وقيمة العمل ومكانته في إيديولوجية الأدوار التي وضعها النظام الاجتماعي، نجد أن المرأة تقوم بالأعمال المنزلية من أعمال تسييرية وتدبيرية داخل المنزل وأعمال الحياكة والنسيج، وصناعة الفخار وتخزين وتحويل المواد الغذائية والعناية بالماشية، إلى جانب أعمال القطف والالتقاط وتنقية الأرض، وجمع العلف وحفظ البذور والفواكه الجافة. إلا أن دور

المرأة في النشاط الفلاحي يعتبر عاملا مساعدا وثانويا بإقصائها من الأعمال الأساسية أو من الأعمال التي تعتبر أكثر سموا كالحرث والبذر، خلافا للرجل الذي يتعهد بمزاولة الأعمال الفلاحية والحرفية والتجارية.

2.1 خصائص موضوع العمل:

أما من زاوية خصائص موضوع العمل، فإنه يتضمن النظر إلى مسألة قربه أو بعده من المجال الاجتماعي الذي يعكس حركة الجنسين المكلفين بأداء الأعمال. فأعمال المرأة تتضمن حركات تبدو بسيطة لا تتطلب تقنية فنية وتحكم عاليين، خلافا لأعمال الرجل التي تعد صعبة.

3.1 خصائص قوة العمل:

كما أن ممارسة الأعمال والوظائف ضمن هذا التنظيم العائلي تكشف عن البحث في خصائص قوة العمل المرتبط بمكانة كلا الجنسين في التنظيم الاجتماعي للمجال، إذ يكلف الرجل بأعمال ومهام ذات صفة أساسية تتصف بها وهي الرجولة بكل ما تحمله هذه الصفة من حيث المعنى البيولوجي والجنسي، فكل نشاط له مدلولا سوسيولوجيا والإخلال بهذا التقسيم للعمل يعرض صاحبه للاهانة وفقدان المكانة الاجتماعية أو يحمله بالسمو والشرف ضمن الجماعة، ويتحقق ذلك بعامل التنشئة الاجتماعية المتميزة للجنسين كوسيلة لإعادة إنتاج تقسيم العمل وقيم المجتمع.

إن الاستعداد الجسدي لا يمكن أن يمثل العامل الوحيد لتفسير تقسيم العمل في المجتمع التقليدي بل يخضع لرموز وطقوس، وهو ما يذهب إليه بيار بورديو إذ يقول: «إن الممارسة الطقوسية ومجموع التمثلات للعالم الخارجي تكمن في التعارض بين مبدأين متكاملين، ما يتعلق بالذكر وما يتعلق بالأنثى، وهو يشكل إحدى التصنيفات الأساسية للفكر».(Pierre Bourdieu, 1970: 45)

ويشرح بيار بورديو محددات تقسيم العمل بالتفسير الواضح إذ يقول: «فالتقسيم الأساسي للعمل يجتاز العالم الاجتماعي من جانب الى آخر، من خلال تقسيم العمل بين الجنسين وتقييم الدورة الزراعية خلال فترة العمل والإنتاج إلى التمثلات والقيم، للانتقال للممارسات الطقوسية التي تشكل بذاتها صور الممارسة المسجلة بعمق للاستعدادات المادية

أساسا، من تقسيم العمل والطقوس أو التمثلات الخاصة بتدعيمها أو إثباتها»(Pierre Bourdieu, 1970: 356)، وبالنسبة لAlain estartفإن المعتقدات هي التي تفسر أكثر تقسيم العمل الجنسي من أصوله إلى يومنا هذا، إذ يرى أن الاختلاف البيولوجي بين الرجل والمرأة والذي يمكن ملاحظته يؤدي إلى إعادة تفسير ثقافي الذي برز بوصفه طبيعي (المعتقدات) فهو ينتج القيم الاجتماعية المتناقضة على وجه الخصوص إذ يقول: «إن هذه المعتقدات تسهم في إبقاء المرأة في وضع التبعية هي حقيقة» (Alain Testart , 2014 :188)، ويضيف على أن ذلك يتأكد من خلال وضع التحليل على مستوى التمثيلات والمعتقدات، بإنشاء نموذج تفسيري يقوم على الاتساق بين الأنشطة المقررة (أو المحظورة) للمرأة في ميادين متنوعة جدا، لأن تمثيل المرأة يتركز في الأصل على دورة الطمث، ولأن مصطلح تقسيم العمل المستند إلى نوع الجنس موصوف بنفسه دون أن يقول الكثير عن العلاقة بين هيمنة الرجل على المرأة التي تنطوي عليه. (188: Alain Testart , 2014)

يتبين أن العمل هو تحت غطاء طقوسي ويخضع لتأثير المعتقدات المختلفة كما يسير على اتفاق المكانة والأدوار الاجتماعية الممنوحة للجنسين، ونذكر على سبيل المثال محتوى العلاقة بين المرأة والأرض التي تكمن في ربط خصوبة الأراضي بخصوبة المرأة «إن خصوبة النساء تؤدي إلى خصوبة الأراضي والحقول والمواشي، وهي مشروطة من كل منهما»(Jean Servier, 1985 :89)، وخاصة وجودها في اليوم الأول للحرث في الحقول كإنجاز الثلم الأول.

نستنتج الى حد الآن من هذه التفسيرات أن تقسيم العمل اتخذ طابعا اجتماعيا طقوسيا وتقسيما عرفته مجتمعات العالم في مرحلة ما من تاريخ تطورها وهو ما دلت عليه الدراسات الأنثروبولوجية بالدرجة الأولى، فهو تقسيم جنسي للعمل، وتتضح الصورة بأكثر تفصيل فيما سيأتي.

2. التفسيرات المرتبطة بتقسيم العمل حسب العلاقة القائمة بين الجنسين:

إن تقسيم العمل والتزام الحدود الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل من الرجل والمرأة حدد تاريخيا وظلت هذه العلاقة بين الجنسين ملتقى لما هو بيولوجي، ثقافي، سيكولوجي واجتماعي، وأصبحت الذكورة والأنوثة مبدأين عالميين ينظمان الكون بتوزيع الأدوار والوظائف وبالتالي يكون من السهل توقع السلوكات.

1.2 الاقترابات المفسرة لتقسيم العمل بين الجنسين:

1.1.2 الاقتراب البيولوجي:

يشير الاتجاه البيولوجي في تفسيراته للتقسيم الجنسي للعمل إلى دور الأمومة التي يرى أنها خضعت لضغوط اجتماعية وثقافية بتدخل نماذج السلوكات للبنيات والمكانيزمات الاجتماعية، بظهور أرباب الزيجة وبروز دور الذكر في التناسل والزراعة باعتبار أن «وظيفة الإنجاب عند المرأة شكلت عند المجتمعات البدائية موضوع الشك والذهول، باعتبار المرأة قوة سحرية للحياة». (Jean Markale, :15 1973). وهنا ويقدم أصحاب الاتجاه السوسيولوجي تفسيرا أكثر بالتأكيد أن التطور الذي حل بالصيد الجماعي عمل على تشكيل الظاهرة العامة الخاصة "بمجموع العمليات التي تشكل من خلالها المجال الإنساني على أساس التفوق"، والتي تشكل العامل المحدد للتنظيم القائم على التمايز بين الجنسين، إذ يؤكد إدغار Edgar «إن الصيد يرجع طبيعيا للرجل، ويرجع قطف الثمار للمرأة في كل المجموعات البدائية»

(Edgar Moun, 1964: 77; Edgar Moun, 1973: 215)، وما يذهب إليه سارج موسكوفيسي Serge Moscovici بأن «التقسيم الطبيعي للصيد والقطف عمل على تحويل التمييز بين الجنسين استنادا أكثر على كل ما هو بيولوجي محض، وأصبح مميزا لاتجاه العالم المادي». (Alain Laurent ،1975 :71)

يؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أن الصيد باعتباره الحشد الذكوري هو العامل المحظوظ للتطور التقني والثقافي للمجال الإنساني، إلا أنه يبقى دور القطف للنساء بمثابة الدور الأساسي في استمرار الحياة، لأنه ظلت الأمومة لعهد بعيد موضع السبق الذكري، وفي نفس الوقت مصدر قيد نتائج معتبرة وهو ما يؤكد عليه Serge Moscovici

«والأمومة بمثابة كسب ومنفعة، وليست عائقا بالنسبة للمرأة كما يراها الأنثروبولوجيين بمساهمتها في الحياة الاجتماعية»(in: Alaine :54 Laurent , 1975)، وتناقلت هذه البنية الذهنية الجديدة التي تشمل الدور الثانوي للمرأة عبر الأجيال حتى الوصول إلى النماذج المنقولة عن التنشئة الاجتماعية والتعليم من خلال الأسرة والمدرسة، ووجدت زيادة على ذلك تدعيما من خلال التمثلات الاجتماعية في العمل وفي التاريخ، فهو بمثابة تنظيم اجتماعي وثقافي «كما أنه اختيار وتوجيه السلوكات الرجولية واكتساب الدور وإضفائه عن طريق النماذج الوسطية، بين النماذج والأدوار التي تحصر الجانب السيكولوجي للأنثى وحصرها في السلوكات الأقل انفتاحا اجتماعيا». (Alain (Laurent, 1975: 74

1.2.2 الاقتراب الأنثروبولوجي:

يتمثل الاقتراب الأنثروبولوجي في تفسير تقسيم العمل حسب العلاقة القائمة بين الجنسين على أساس أن «القراءة الأنثروبولوجية تقوم على أن ما هو جنسي يشكل ظاهرة اجتماعية كلية كمعطى من الطبيعة تعرضت للتنشئة الاجتماعية، والتقسيم الجنسي للنشاط عبر كل الحقل الجماعي والثقافي يظهر في القدرة، السلطة، الرموز، التمثلات والقيم»(George Balandier ،1984 :5)، فكل ما هو جنسي وجسدي يشكلان في نفس الوقت مواضع ووسائل، فهي نتاجا اجتماعيا وأصبحا يشكلان أدوات إجرائية واجتماعية الأكثر استعمالا مباشرة.

تؤكد الأنثروبولوجيا الثقافية أن مبدأ تقسيم العمل و"التخصص في العمل" قد تم ثقافيا في البداية على محور النوع، وعدم وجود تأثير للبيولوجيا في إنتاج أفراد متخصصين لشغل مكانة معينة أو لأداء دور محدد في مجال تقسيم العمل الاجتماعي بين الأفراد «لأن عملية تكيف الجماعات الإنسانية مع البيئة الطبيعية يتم ثقافيا لإشباع احتياجات الأفراد» (سعيد كمال،1977 :247)، فالإنسان يكون في حاجة إلى حل المشاكل التي تنبع من حاجاته الأساسية وهذا لا يتم إلا بإنشاء بيئة جديدة أو مستوى جديد للمعيشة، ومن هنا تبرز فكرة التنظيم «لأن فكرة الثقافة تقوم على إشباع الفرد لاحتياجاته الأساسية وما ينشأ عن هذه الحاجات من توترات ومشاكل أو ما ينبثق منها من حاجات

جديدة، لذلك فالإنسان يكون مضطرا للقيام بألوان مختلفة من النشاطات وأنواع خاصة من التنظيم»(الساعاتي سامية، 1983: 65).
وقد أكدت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية أن الاختلافات بين الجنسين وأن القدرة الجسمية وبذل الجهد لا يكون لها أثرا كبيرا في تقسيم العمل وتحديد الدور الذي يقوم به كل من الجنسين، بل وجود عوامل أخرى ذات أهمية كطبيعة النظم الاجتماعية السائدة ونظرة المجتمع إلى العمل ذات والقيمة الاجتماعية التي تعطيه لكل عمل من الأعمال «كما أن الجماعات القرابية ومبدأ النسب وأنساق القرابة لا تتغير نتيجة التغيرات الثقافية المباشرة، وإنما نتيجة لعملية إعادة التكيف والتنظيم الداخلي لمواجهة ظروف الحياة الجديدة »(حسن الساعاتي سامية ،1977: 325).
إلا أن مفهوم الثقافة للجنسين يقوم بدور الإيحاء والتوجيه بما هو مناسب أو غير مناسب لكلا الجنسين، إذ نجد تعارضا متكررا في الأنظمة الثقافية بين الرجل الذي يمثل الثقافة في المقام الأول، والمرأة المعرفة من خلال الرموز المركزة على وظائفها البيولوجية والحسية، وهذا ما تذهب إليه مارغريت ميدMargreatMeadبالقول: «بأنه على مر التاريخ تم تحديد النشاطات الأكثر تعقيدا تارة للذكر وتارة للأنثى، أو أن لا تكون لأحد منهما، أو دعوة لمواهب أحد منهما، أو بالتمييز بينهما أحيانا أخرى، وحتى وإن وجدت قدرة في ممارسة كلاهما لنشاط ما فإن هذه الممارسة تقتصر على واحد منهما، وبالتالي تفقد عمقا بالتباين والفوارق، كما تصبح ممارسة أحدهما صعب وعرضة للخطر حينما يتم تحديد ممارسة ذلك النشاط وتخصيصه لأحد الجنسين وبالتبادل، فيدخل أحد الجنسين في نشاط الآخر ليصبح عرضة لأثر مدمر إذا كان يحظى بأقل مكانة». (335:1966 (Margreat Mead,
فوضع المرأة ودورها في الحياة يبقى يتأرجح بين السلبي والإيجابي وذلك حسب التدريبات التي تتلقاها خلال مراحل حياتها، أو يتوقف على قدر من الثقافة التي تنالها الفتاة، كما يتوقف أيضا على استعداد المجتمع لتقبل أي نشاط يمكن أن تساهم به.

وفقا لهذه المقاربات، تأتي تفسيرات لتقسيم العمل بين الجنسين بأكثر تفصيلا فيما يأتي.

2.2 تنظيم مجال العمل بين الجنسين:

1.2.2 التمايز الطبيعي للقدرات الخاصة بكل جنس:

إذا تتبعنا المجتمع في تطوره التاريخي نجد أن تقسيم العمل أقيم على أساس عامل الجنس بكل ما يتميز به خاصية الجنس بيولوجيا واجتماعيا في اطار تنظيم مجال العمل ،اذ يقوم هذا التقسيم أصلا على ملائمة العمل لطبيعة كل من الجنسين، وقدرة كل واحد منهما الجسمية على تحمل الأعباء أو القيام بعمل شاق «فلحظة الممارسة الأولى لهذه العلاقة بين الذكر والأنثى التي هي لحظة تاريخية، لحظة حملت ديمومة هذه العلاقة التي هي ديمومة الحياة، يذهب الرجل إلى الصيد وإلى الزراعة وإلى الحرب، وتذهب المرأة إلى ما تحمل في هذا الذهاب الذي ليس بالضرورة تحركا في المكان، يتكفلان معا برعاية ما يضمن استمرار هذه العلاقة على مستوى الإنسانية» (العبيد يمنى ،1980: 41).

لقد ظهر تقسيم العمل في مجتمعات الصيد إذ يرجع للرجل القيام بالحرب والصيد الواسع، وتقوم المرأة بالصيد الأقل توسعا من الأول، إلى جانب القطف وتحضير الطعام، بذلك كانت مرحلة الصيد هي الفترة بالذات التي ميزت علاقة الرجل بالمرأة عن طريق العوامل الاقتصادية، إذ كان يتحتم على المرأة أن تبقى مع الأطفال ويذهب الرجل إلى الصيد يخاطر بحياته لتوفير القوت لأفراد الجماعة ويلقي بنفسه في الحروب، وكان الاحتمال كبيرا في عدم عودته وذلك لعدم قدرته على مجابهة الظروف الطبيعية.

على هذا الأساس ارتبط نسق القيم المتمايزة بهذه الوظائف بإعطاء قيمة لتلك الأعمال التي يقوم بها الرجل لأنها أكثر خطورة، خلافا للقطف الذي يمثل وظيفة يستطيع كلا الجنسين القيام بها، وهذا ما يظهر فيما يشير إليه Maurice Godelier «أن تقسيم العمل بين الجنسين ليس نتاج مباشر للعوائق الطبيعية، فهو تأثير تركيبي منظم لحدود القوى المنتجة المادية والعقلانية».(in: La condition Féminine,1978 :35)

يتضح من خلال هذا أن تنظيم هذه المجتمعات يتم من أجل استغلال مصادر الطبيعة المحيطة بها منعا لتشتيتها، فهذه النتيجة المشتركة المرتبطة بحدود وسائل العمل الإنساني تجاه الطبيعة، وعليه كان تقسيم العمل الذي يجعل الرجل يحتل المرتبة الأولى في الإنتاج المادي. ويبرر Vern.Lu.Bullonghهذه المكانة العليا للرجل بالقول: «أن النساء في العصر البدائي يجهلن كل مناهج تحديد أو تنظيم النسل، والأحمال التي تنقص من حرية الحركة»(in: Evelyne Reed ,1979 :136)، وهذا ما يفسر جزئيا أن تصبح عملية القنص نشاطا ذكريا قطعا. فالأحمال المتكررة نتيجة ارتفاع وفيات الرضع حملت ضرورة عناية الأمهات بالأطفال لفترة طويلة تضع حدودا في أن تكون النشاطات النسوية في متناولها، خلافا للرجل الذي يعوض المرأة في معظم الأشغال التي تقوم المرأة بممارستها في الماضي، حيث ظهر التخصص مع تطور الزراعة لأن «العلاقة بين الجنسين هي انطلاق نحو عمل، وباعتبار العمل عملية تراكم، رآكم الرجل في عمله المادي إنتاجا ماديا وراكمت المرأة الحياة، وكان كلاهما يستهدف الحياة، لكن المراكمة اختلفت باختلاف مادتهما مما جعلها تتردد مع الزمن ضد هدفهما الأساسي الذي انطلقت من أو من أجله، وهو الحفاظ على هذه الديمومة للحياة» (العبيد يمنى، 1980 :36).

وتشبه الأنثربولوجية أورتنر شيري Ortner Sherri مقابلة المرأة والرجل بمقابلة الطبيعة للثقافة، فالمرأة تشبه الطبيعة بسب قدرتها على الانجاب وخصائصها البيولوجية، والرجل يشبه بالثقافة بسبب السلطة والموارد التي يتمتع بها للسيطرة على الطبيعة واكتشاف كنهها، وتسخيرها لخدمته (عصمت محمد حوسو، 2009: 102).

في حين يرجع بعض الأنثروبولوجيين إلى أن «الأشكال الاجتماعية لمراقبة المصادر والإنتاج تأخذ معنى العلاقات الاجتماعية للإنتاج، وليس لتقسيم العمل من أجل تحصيل القوت...فالعلاقات القرابية تمثل الشكل الاجتماعي لإنتاج الحياة، إذ يحل محل وظيفة علاقة الإنتاج»(Maurice Godelier, 1978:36)، وهذا ما يجعلنا نقترب من فكرة ليفي ستروس حول الاتجاه المعاكس حول تداول النساء بين

المجموعات أو بين الرجال، فهذا التبادل للنساء يشكل وسيلة للعيش، وهذا يبرر أن مجتمعات الصيد وجمع الثمار كانت تعيش على حياة الانعزال والانغلاق أو بما يسمى "محضور الزواج ما بين الأقارب"، وهو التنظيم العام للعلاقة بين القرابة واتخذ من تداول النساء بين الرجال تنظيما جديدا لتفادي عوائق التنظيم المادي، اضطرتهم طبيعة الوسائل التي يكتسبونها للتدخل من أجل الطبيعة، وانقسامهم إلى أفواج متمايزة لاستغلال أجزاء من الأراضي بالانفصال عن الأفواج الأخرى، «وهذا ما يظهر أهمية العلاقات القرابية للمجتمعات البدائية التي تقوم بوظائف باعتبارها مسالكا أو مصادرا وأسبابا للتعاون بالانقسام ضمن المجموعات المحلية».(37: 1978، Maurice Godelier)

إلا أن العصر النيوليتي بدأ باتجاه لإعادة التوازن للعلاقة بين الذكر والأنثى خاصة المرتبط بظاهرة الأمومة التي أصبحت متوازنة كموضوع لقلب القيم، إذ اعتبرت المرأة في هذا العصر المسؤول الأول والوحيد عن اكتشاف الزراعة وبعض الصناعات البسيطة والمزود الأول لقيام الحياة المستقرة، بغض النظر عن طبيعتها وتكوينها البيولوجي اللذان يمنعانها من المشاركة في أعمال القنص والرعي والحروب، إلا أن هذا النجاح الذي حققته الأنثى في استبدالها للعمل الزراعي لم يتحقق باستمرار، لأن الرجل تجرد من قدرته الفيزيولوجية وهذا ما ينوه به لويس ميني فوردLouis Munifordفي الجزء الأول من مقاله حول خرافة الآلة بالقول: «عمل المرأة يمثل خاصية اجتماعية أساسية، إذ كان يشكل مجموع الأنشطة المنزلية الأولى، وأصبح العمل الزراعي يتعارض مع الصيد الواسع إلى أن أصبح نشاطا رفيعا» . (Alaine Laurent،52:1975-53)

فبمقدار ما يتتابع التطور الإنساني بدت عدة مؤشرات ذات أهمية إلى الافتراض لقيام التمايز المتزايد والتنظيم للأفعال بين الرجل والمرأة، مما ولد هذا التنظيم للتفوق التقني للرجل في مجابهته للمحيط الطبيعي الحيواني والإنساني، ويؤكد لوروا غورهان M.Leroi Gourhan أن «تفوق الرجل ظهر في الواقع مع ظهور الزراعة». (653:1975، Alaine Laurent)

وعليه فتطور العلاقات بين الجنسين حيث أصبحت المرأة تابعا للرجل من خلال عوامل تجسدت في الشروط الجديدة للحياة الاقتصادية والايكولوجية بمضامينها التكنولوجية ثم السوسيولوجية، حيث كان العمل الفلاحي المادي يمثل اكتفاء ذاتي في البدايات الأولى للعصر النيوليتي.

وهذا ما يقودنا إلى الإقرار أن تقسيم العمل في طوره الأول لم يجر قط على مقياس واحد للتمايز الطبيعي للقدرات الخاصة بكل جنس، فهذه الحالة الأولى لا تشكل إلا وضعا خاصا لظاهرة عامة للتقسيم المتخصص والذي ينقص من قيمة دور المحارب والحرفي والفلاح، لأن ظهور الآلة الذي جاء مع بداية الحروب أعطى الأولوية لممارسة القوة الجسدية، كما أوجد الرجل نفسه من خلال ذلك مكافئا من خلال الحياة المنزلية للمرأة والأطفال « أصبح بذلك هذا التنظيم المؤسساتي للآلة يشكل نماذج ثقافية، وصور عقلانية تطبع كل من المكانة حسب الجنس والصور الدينية واللغوية».(Alaine Laurent, 1975 :71)

2.2.2 الاختلافات بين الجنسين

تكمن هنا إشكالية تقسيم العمل بين الجنسين حددته أسباب مختلفة والتي تحدد وضع المرأة في المجتمع، وقد تعددت البحوث في اتجاهات مختلفة باستعمال اختبارات وتحقيقات تبين وجود مزج أو اختلاط دون تمييز بين المظاهر الفيزيولوجية، والمظاهر الثقافية المرتبطة بما يعبر عنه برجولي أو نسوي. وقد كان هذا الموضوع محور جدل بين علماء النفس والبيولوجيا ومفكري مختلف المدارس منذ أمد بعيد.

جاء الأنثروبولوجيون بإجابات أكثر دقة بالاستناد على أطروحة التكيف، ويتفق هنا علماء التحليل النفسي فيما يتعلق بتحديد دور المرأة واتجاهاتها في الحياة على أنه يرجع إلى عاملين، منه العامل الخاص بالنمو الجنسي البيولوجي من ناحية وأثر الحضارة من ناحية أخرى، إذ أكدت اختبارات الملاحظات السيكولوجية على وجود علاقة قوية بين الخصائص الفردية ومتطلبات الأدوار حسب الجنس، إلا أنه يبقى محددا حول إذا كانت الأدوار الاجتماعية هي نتيجة الاختلافات السيكولوجية الأساسية أم أنها بالعكس، وهنا يجيب كون إيجور Kon

Igor: «فالاختلافات السيكولوجية ناتجة عن الطابع المختلف للنشاطات والتربية لكل من المرأة والرجل». (Igor Kon,1975 :704) ومن هنا يتعين علينا التعرض للعوامل الحضارية والتي تدعونا إلى ضرب الأمثلة من تلك الدراسات التي توضح العامل الحضاري، ومنها ما قامت به الأنثروبولوجية الأمريكية مارغريت ميد بدراسة تقنيات التربية ونسق القيم للعديد من المجتمعات الأوقيانوسية بالاعتماد على معرفتها للمجتمعات البدائية، ثم فحصها للمجتمع الأمريكي الحديث خاصة الأسرة إذ ترى أن: «كل النقاشات حول موضوع المرأة من حيث سلوكها وطبيعتها، خضوعها أو تحررها، هي في مجملها قد أفقدت وجهة النظر للحدث الأساسي الذي يرى أن التمييز بين الجنسين علق حسب اللحمة الثقافية التي تخدم في الأساس العلاقات الإنسانية، وأن الذكر في طفولته ونموه يتكيف ويتشكل بقساوة من الأنثى الفتاة». (in: Thérèse Duval ،1978 :67)
كما طرح ستيوارت ميل في كتابه "خضوع النساء" (1869) مفهوم الطبيعة الأنثوية وقد بين أن الصفات الخاصة بالأنثى كانت نتاج منطقي لظروف تاريخية واجتماعية محددة. (in: ،1978 :268 Thérèse Duval)
وقامت إلينا جيانينيElena Gianiniبتحليل تأثير التكيفات الاجتماعية في تكوين دور المرأة في مرحلة الطفولة عن طريق الملاحظة المباشرة للطفل منذ ولادته وتصرفات الكبار تجاهه حول ما ينتظر منه حسب الجنس والمجهودات التي من الواجب القيام بها للتكيف لهذه التوقعات، وقد أوضحت أن «البنت تهيأ لدورها كزوجة وأم، والذكر لمستقبل قابض على السلطة، فالبعض من الذكور يتلقون المفاهيم الأولى للكفاح والابتكار والاستغلال، ويتلقى البعض الآخر تعلم الطاعة والانقياد، والحنو والارتباط بالحياة والآمال والخيبة، هذه الأخيرة التي تولد العدوانية، في حين أن نقطة العدوانية بالنسبة للبنات هي بمثابة العفة التي تمنعها في حياتها باسم الأنوثة». (in: ،1978:268 Thérèse Duval)
ومن جهة أخرى، أعطى علم التشريح الاجتماعي الإنساني إضاءة أخرى حول السلوك الإنساني بهدف تفسير تأثير الجانب الجسدي

للإنسان على سلوكه، والدور الذي يقوم به تبعا لخصائصه الجسدية في علاقته الاجتماعية(Thérèse Duval, 1978 :27)، وهذا ما يجرنا إلى القول أن عملية الحفاظ على النوع البشري التي تضطلع بها المرأة بالدرجة الأولى من حيث الولادة والرضاعة يمكن أن تفسر بأن اكتسابها الجانب الحضاري عموما هو أقل اكتسابا مقارنة بالرجل، وهذا يدل على النظريات الخاطئة التي تجعل من أن تكون طبيعة المرأة البيولوجية الفيزيولوجية أقرب إلى الطبيعة، فالمسألة تكمن في واقع عاشته المرأة وما تم تكوينه لديها من مهارات مناسبة سيكولوجيا.
وفي هذا السياق ترى سيمون دوبوفوار أن «الأنوثة هي من إنتاج المجتمع والتنشئة الاجتماعية، كما أنها أسطورة من صنع الرجل عبر العصور»(Piettre. A, 1974 :29)، هذا يعني أنه لا يوجد هناك جوهر أنثوي، فالترقية التي وصلت إليها المرأة حاليا هي أشد فضلا عن الماضي إذ تشغل مجالات جديدة في الحياة السياسية والمهنية، والبحث عن تفتح الشخصية أصبح شرعيا وأصبحت المرأة تطمح لإنجاز ما تسميه بيتي فريدمان Betty Friedman بالبعد الرابع بعد مكانتها كزوجة وأم وربة بيت (Betty Fridman ,1969 :45). ويظل الجدل حول وضع المرأة بين ما هو فطري أو مكتسب، فنصيب الثقافة يؤكد على الأدوار المكتسبة، وهو ما تؤكد عليه مارغريت ميد بالقول أن: «الاختلافات الثقافية لا تقوم إلا بتشكيل الاختلافات البيولوجية للجنسين».(Alain Laurent, 1975 :10)
وهو ما تذهب إليه أيضا إيفيلين سيلوروEvelyne Sullerotإذ تقوم فرضيتها على أن التمايز بين الجنسين هو أكثر منه كميا منه كيفيا في التحضير الاجتماعي للعوامل البيولوجية: «فالتمايز البيولوجي يؤثر على الشدة التي ينتج بواسطتها المرأة والرجل أنماط السلوكات الخاصة بكل جنس، وبالطريقة التي تكون فيها المتغيرات منظمة من أجل ممارسة ثقافية»(Evelyne Sullerot, 1978 :338)، فكلها يساهمان في إقامة اختلافات في المكانة بين الجنسين لأن البيولوجيا ليست هي التي تحدد الثقافة أو أن البيولوجيا ليست هي التي تحدد السلوك، بل أن السلوك لا يكون وراثيا أو مكتسبا بل الاثنين معا.

ووفقا لGerson and Peiss(1985) فإن الوعي الجندري ينشأ عن طريق التفاعل بين الجنسين في ظل المنظومة الاجتماعية، ولا يخلو من التقبل للتعريفات الاجتماعية وما تتضمنه من فروقات في النوع الاجتماعي على أنها اختلافات طبيعة مسلم بها، بحيث يتم يتقبل الأفراد الأدوار المحددة اجتماعيا حسب الجنس والمتأثرة بالعوامل الثقافية والاقتصادية، واعتبار عدم الرضى لدى أحد الأطراف عن تقسيم هذه الأدوار على أنه مشكلة فردية تتعلق بالشخص نفسه (سوسن عبد الكريم أحمد كنعان،2014 :23-24).

تحاول مارغريت ميد تفكيك هذه العلاقة الكمية التي تجمع بين ما هو مكتسب وما هو وراثي في نفس الوقت، إذ ترى أن تشكل الدور حسب الجنس يظهر منذ اللحظة الأولى للولادة من خلال العلاقة أم ـ طفل والاختلاف البيولوجي للجنس «فأدوار الرجل والمرأة يوجد جذورها ضمن العلاقة أم ـ طفل. البنت لا تجد عند ولادتها أي تحدي بحكم جنسها، فحياتها تبدأ وتنتهي في اليقين من خلال هويتها الواضحة لأمها، وطبقا للتأمين والضمان للنفس بهذه الهوية الواضحة على المستوى الثاني خلاف الذكر، فالولد يتوجب عليه أن يدخل العالم الخارجي يكتشفه وينتجه ويحقق ذاته بواسطة الآخرين، كما أن دوره كذكر يتجه في الأصل نحو أن يكون عائل الأسرة، وذلك هو الغموض المفروض في هويته». (Laurent Alain,1975 :11-12)

كما أن كل ثقافة تطور نماذج أنماطها حسب معتقداتها وقيمها وهذا يعتبر من حدود المظاهر الاجتماعية الثقافية لأدوار الذكر والأنثى،لأن بعض السلوكات الثقافية الشاذة يمكن تفسيرها من خلال علم الأنثروبولوجيا والإيتنولوجيا، وهذا ما أوضحته مارغريت ميد في دراستها عن الشخصية في ثقافات مختلفة وخاصة المتعلقة بالقبائل الثلاث بغينيا الجديدة إذ لاحظت «أن قبيلتين منها لا تجعلان أبدا أي فروق شخصية حادة بين الرجال والنساء، يسلكون بطريقة يمكن تسميتها في ثقافتنا أنثوية...والقبيلة الثانية بطريقة ذكرية من حيث العنف والمنافسة، وعلى العكس فإن القبيلة الثالثة تعرف أدوار الذكر والأنثى بمفهوم متناقض ». (Margreat Mead, 1966 :60)

ومن هنا نستخلص أن الخصائص الذكرية والأنثوية ليست فطرية ولا هي ذات أساس بنائي وإنما هي من صنع المجتمع، لأن اكتساب الطفل هذه المفاهيم الثقافية لأدوار الجنسين في الجماعة يكون عن طريق المحاكاة والتنشئة الاجتماعية، وحتى عندما تسهم الفروق الفيزيقية في تحديد الفروق الجنسية في السلوك فإن هذا الإسهام يكون غير مباشر وتابعا للعوامل الثقافية.

وهذا ما دلت عليه الأبحاث العلمية في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وتخص النظريات والاتجاهات المتعلقة بنظريات الثقافة والشخصية وبما يسمى بالاتجاه التكراري، على وجود تطابق بين نمط الثقافة والشخصية وهو ما نجده عند مارغريت ميد،وهوما تؤكده جوديث بيتلرJudith Butlerأن الدور الاجتماعي يتحول إلى معطى بيولوجي وهوية ثابتة نتيجة عمليات تكرار مستمرة (519: Judith Butler1988)، ليتحول بعده إلى شيء طبيعي ومألوف، وهو ما يتوافق إلى حد ما مع نظرية بورديو عن الهابيتوس التي يتم من خلالها رسم الهوية الاجتماعية للفرد (بيار بورديو، 2009: 98)، باعتبار الهابيتوس نسقا من الاستعدادات اللاواعية.

إن عمليات التكرار المستمرة للدور وارتباطه في العديد من المجتمعات بالمرأة جعل منه أمرا طبيعيا، يصعب معه التمييز بين المستويين البيولوجي والاجتماعي، إلا أن هذا الاتجاه تعرض للنقد «بأن العلاقة بين الجنسين لا تعتمد على مطابقة سلوك كل منهما لدوره، وإنما على التكامل بين الأدوار المختلفة» (سامية حسن الساعاتي ،1983: 231)، اذ كان تبني هذا الاتجاه في ظل رفض علم الطبيعة البيولوجي الذي يبرر تبعية المرأة من خلال إعاقتها العقلية والجسدية، وهو يتضمن مفهوم معين للمساواة بين الجنسين، وهو أبعد ما يكون عن الخلط بينه وبين المساواة القانونية والاقتصادية والسياسية، وهو "المساواة الأخلاقية"، التي تعني «تكامل أدوار الجنسين التي تحدد وفقا لما يعتبر طبيعيا لكل منها: بالنسبة للرجال اتجاه الشؤون العامة وللمرأة الأمومة والرعاية المنزلية» (95: 2011 Hélène Charron ,)، اذ يعتقد بعض الباحثين في علم الاجتماع أن هذا

النوع من التقسيم قادر على إبقاء حالة توازن وظيفي داخل الأسرة، بحيث أن الأدوار محددة ومتكاملة.

3.2.2 الأعمال الذكورية والأنثوية:

إن أشكال تقسيم العمل بين الجنسين هي مستقرة نسبيا رغم اختلاف الثقافات والمجتمعات، إذ تقوم على تصور اجتماعي حيث يتولى كل من الرجل والمرأة وظائف تخص كل واحد منهما، وقد قام العالم الأنثروبولوجي ج. ب. ميردوكG.p.Murdockفي هذا الأساس بدراسة حول 224 مجتمعا وأكد على الميزة العامة للأعمال التي يختص بها الرجل والمرأة «إذ يقوم الرجل بصناعة الأسلحة والصيد وبناء المنازل واستغلال المناجم، والرعي وتهيئة الأراضي للزراعة، أما أعمال المرأة فتظهر في طحن الحبوب، جلب المياه وتحضير الطعام، قطف الثمار والحبوب، نقل الخشب للتدفئة، الأعمال النسيجية وبعض الأعمال التي يقوم بها كلا الجنسين بطريقة مشتركة كالعمليات التجارية، الأعمال الزراعية، نقل الأشياء الثقيلة»

(in: Igor Kon ،1975: 703-702) وهو ما أكده معظم الباحثين، إذ تذكر مارتين سيغالان Martine Segalen أن «ثلاثة أرباع (4/3) من المجتمعات البدائية يقوم فيها كل من الرجل والمرأة بهذه الأعمال، وتتخذ بذلك طابعا طقوسيا يخضع لتأثير المعتقدات المختلفة، وتسير مع توافق الأدوار الاجتماعية والمكانة الممنوحة للجنس». (189: Martine Segalen, 1981)، وتضيف أيضا: «إن فحص توزيع النشاطات في المجتمعات الدخيلة توضح أن الرجال باستطاعتهم إنجاز كل الأعمال المخصصة للمرأة إلا أنهم يمتنعون عن ذلك، كما أن النشاطات التي تعود للرجل لا تستغل عموما وقتا كاملا، ويطابق هذا التحقق بالنسبة للمجتمعات القروية والمجتمعات الحديثة». (189-190: Martine Segalen, 1981)

يدل هذا على أن توزيع الأدوار يتخذ مفهوما رمزيا بالتكريم والتفوق لبعض منها أو للمراقبة والتسيير والإدارة وإسناد القرار، وهي ذات مستوى مرتفع لا يتطلب أي جهد عضلي وغالبا ما تنسب للرجل، ويؤكد ذلك روبرت بريفولتRobert Briffaultبالقول: «هذا التقدير لأدوار الرجل، والإنقاص من أهمية أدوار المرأة يعتبر رؤية من

زاوية واحدة بتقديم صورة خاصة عن الحياة البدائية، بالاعتماد على وصف الصيد البري والبحري وطقوس الدم واحتفالات الرجل، واعتبار العمل النسوي عبودية وطغيان».(in: Martine Segalen, :19 1981)

ويضيف تفسيرا أكثر «أن الملاحظين للمجتمعات الوحشية يرون أن النساء استسلموا لعدة أعمال بالتعزيز الكلي بالافتراض أنهن كن مضطهدات كحالة العبيد، وهذا يمثل أكبر تفسير خاطئ لأن النساء يتمتعن بأكبر استقلالية ولها تأثير كبير في المجتمعات التي تؤدي عملا هاما، خلافا لتلك المجتمعات التي يتم فيها العمل بواسطة العبيد، أو تعطلهن عن العمل بالحكم على استعمالهن مجرد أشياء». (132: Evelyne Reed, 1979)

ويبرز الباحث دور المرأة في المراحل الثلاث للتطور الإنساني ابتداء من المرحلة الوحشية التي تقوم على أساس الصيد والقطف، إذ كانت المرأة تضمن مؤونة العشيرة بقلع الجذور والخضروات، ومن ثم تلقيها فن الزراعة من خلال التجارب الأولى في قلع الجذور، وهذا ما أكسبها قوة سحرية لم تقتصر على رعاية الأطفال فقط بل الاعتناء بالأرض والنباتات معا. هذا ما سمح لها أن يكون لها أولى التجارب في تأهيل الحيوانات، ومع هذا الشكل الجديد للاقتصاد الإنتاجي للقوت ارتفعت الإنسانية خارج حقل التوحش نحو البربرية بالزراعة وتربية المواشي التي مهدت مرحلة الحضارة بإدخال الإنتاج والتبادل، كما ابتكرت النساء التقنيات المساعدة في نقل وطهي وحفظ وتخزين الغذاء، واكتشاف مختلف استعمالات النار من خلال نشاطات الحرث، وطورت بذلك تقنيات الطهي كركيزة أوصلتها إلى حفظ الخضر واللحوم، وكما كانت النساء أولى المتطببات في التاريخ بفضل اكتسابها للمعارف الخاصة بعلم النبات، من خلال زراعة الأرض وتحكمها في تقنيات صقل ودباغة الجلود وقيامها بتقنية النسيج باستعمال أدوات كانت في متناولها من قشور الأشجار، الأعشاب والجذور (Evelyne Reed,1979: 114-121)، إلى جانب الدور الرائد للمرأة في ميدان الصناعة الفخارية وهو ما يؤكد عليه جورج طومسونGeorge Thomson: «إن المرأة التي تقوم بصناعة الفخار

يعتبر عملا إبداعيا وسر من أسرار الأنثى، والتي لا يمكن أن يشاركها فيها الرجل» (in: Evelyne Reed, 1979 :121)، وبذلك اعتبرت صناعة الأدوات الفخارية وتزيينها كعمل نسوي في الأصل، كما قامت النساء بنشاط البناء من خلال تخزين الغذاء بحفر الأرض، ويرى روبرت بريفولت أن «هذه الأبنية المتنوعة في الأشكال في مختلف بلدانها الأصلية». (Pierre Sartin ،1964 :130)

كما يشير الباحث الأنثروبولوجي ر. ماسونR. Masson إلى مساهمة النساء في نضج لغة المجتمعات البدائية، باعتبارها الأداة التي تحتاج إليها في نشاطهن خلافا للرجال الذين تميزوا بقلة الكلام بحكم خصائص نشاطهم من الاصطياد البحري أو البري اللذان يستلزمان الصمت. (Evelyne Reed ،1979 :131-132)

إن كل هذه الاستشهادات عن الأعمال التي مارستها المرأة سمحت للإنسانية بالتطور والابتعاد النهائي عن الوضعية الحيوانية، لأن نشاطها يتخذ الشكل الإبداعي بتكيف النوع البشري، وهذا يعكس ارتفاع التنظيم الاجتماعي خلال الفترة الأمومية وتفوق مكانة المرأة مع فجر العصر الزراعي، وقيامها بدور الأم المجتمعية وليس الأم بالدور البيولوجي.

إلا أن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة الذي يحمل خاصية العلاقة بينهما مع الذكر القوة والأمر يحتمل الاستعلاء ومع المرأة الضعف، فتكون علاقة التبعية والخضوع قد تم تثبيتها كأساس للتنظيم الاجتماعي على مستوى المجال والممارسة والتمثلات مع ظهور النظام الأبوي واتخذ من مبدأ التمايز البيولوجي الأساس الذي يرتكز عليه هذا التقسيم الجنسي للعمل« إن هذا التمييز وبناء النظم المعرفية على نظرة الرجل للأشياء -التي من جملتها النساء – هو ممارسة قديمة يمكن رصدها مع بداية سيطرة المؤسسة الأبوية على البنى الصغرى للمجتمع مثل الأسرة، والبنى الكبرى من قبيل الإمبراطوريات والمملكات» (Michael Adas ،2001 :118).

ثم مع انتشار هذا النظام العائلي داخل العديد من المجتمعات وما صاحبه من تقسيم جنسي للبنى المادية والاجتماعية دفع إلى الاعتقاد أن التقسيم الجنساني للأدوار الاجتماعية هو معطى طبيعي وعادي.

وأهم ما يميز النظام الأبوي سوآءا القديم أو الجديد هو النزعة الأبوية البطريقية التي تعني اعلاء شأن الرجل أيا كان موقعه، وتكون العلاقات في التفاعل الاجتماعي ضمن هذا النسيج الاجتماعي قائمة على الهرمية والتسلط من جهة، والخضوع والطاعة من جهة اخرى، وهي تنعكس في التنشئة الاجتماعية وتتمحور في الثقافة السائدة ومكوناتها من قيم وعادات وتقاليد، وتساهم في تشكيل وبناء نمط الشخصية وطريقة التفكير والسلوك، وبالتالي توجيه التصورات السائدة حول الذات ونحو الآخر/الأخرى (عصمت محمد حوسو، 2009: 101-102).

ويرصد بيار بورديو في كتابه "الهيمنة الذكورية" الانقلاب الكامل بين الأسباب والنتائج الذي ميز النظام الأبوي من خلال تركيزه على الكيفية التي استطاع من خلالها أن تتحول فحولة الذكر -أو انتصاب القضيب –من معطى بيولوجي إلى دلالة رمزية ومجازية على القوة والفضيلة والشرف، ومن طريق هذه الآلية يمكن الوقوف بشكل أكثر دقة على الكيفية التي يصبح من خلالها الاختلاف التشريحي بين الأعضاء التناسلية، تبريرا طبيعيا وموضوعيا على الصعيد الاجتماعي (بيار بورديو، 2009: 28-30).

وقد كانت للظروف التاريخية دورا في ظهور وتطور هذه العلاقة، وتحديد مضمونها الاجتماعي لمفهوم الشرف، بإبعاد النساء عن المجال العام ونفيها في المجال المنزلي الذي يتضمن العذرية للمرأة غير المتزوجة، والوفاء للمتزوجة باعتبارها قاعدة عديمة التساهل فيها، إذ أنها تتعايش مع أشكال البغاء كشيء مقدس كما هو الحال في روما واليونان. إضافة إلى عامل توطيد العلاقات حول الأب أدى إلى بروز الأسرة الأبوية الواسعة الأغناتية، كما هو الحال في روما واليونان والمغرب العربي أين تظهر فيه سلطة الأب أكثر. وقد كان التمييز بين ما هو اقتصادي في العهد اليوناني باعتباره خاص "برئيس المنزل"، حيث يعتبر المنزل المكان المخصص للمرأة، وبين ما هو سياسي كالحكم هو المكان المخصص للرجل كما يراه أرسطو، هذا التمييز الأساسي أدى إلى علاقة بين ما هو بالداخل وبين ما هو بالخارج الذي ضمنه انحدرت مجتمعات حوض البحر المتوسط.

إلا أنه بتطور المجتمعات وتغيرها بدأ التمييز التقليدي بين الجنسين يأخذ أشكالا أخرى ليؤثر في تحديد مكانة المنتج، فيظهر تقسيم جنسي سلعي للعمل يتمثل في التمييز بين نشاطات الجنسين متخذا في ذلك مكانة المنتج. فهذا الاختفاء للتنظيم التقليدي للعمل هو نتيجة خروج المرأة للحياة العملية، بطرح إشكالات جديدة حول التوازن للأدوار داخل الأسرة، وظهرت حديثا آفاقا جديدة في البحث بدافع التطورات الحديثة لعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع وخاصة نظرية الأدوار، استنادا إلى التغيرات في الطموحات والسلوكات المرتبطة بالمرأة من خلال الأطروحات، فبعضها يحصره في «تفسير العمل المنزلي ضمن الإنتاج السلعي على أساس العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، وبتحديد الجدل الكلاسيكي حول التقسيم الاجتماعي للعمل، بالاستناد على حقول سوسيولوجية الحركة الاجتماعية، بطرح التساؤل حول المراكز والوظائف المتمايزة بين الجنسين ضمن البيئة الاجتماعية» (Michel Andrée, 1977 ; Michel Andrée, 1984 ; Maurisson. M.A. Barrière et al, 1978).

بذلك يتضح أن العلاقة بين النشاط المهني والعمل المنزلي بالنسبة للمرأة يتم اختبارها على أساس التقسيم الجنسي للأدوار وليست ضمن الأسرة الزواجية أو ضمن الشبكة العائلية، وبالتالي يكون من الضروري تحديد مصادر إنتاج السلوكات النمطية تبعا للجنس وميكانيزمات وظيفتها في سيرورة التنشئة الاجتماعية، عبر الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والاتصال التي تمنح صنع نماذج المواقف والآراء لكلا الجنسين، لأنه لا يمكن تفسير ديناميكية الأدوار حسب الجنس إلا بتحليل إنتاجهم وانتشارهم في ثقافة المجتمع، ولأن الثقافة لا يمكن اعتبارها مستقلة عن أنظمة التمايز الجنسي والانطلاق من فرضية "الظاهرة الاجتماعية الكلية" التي ترجع إنتاج الأيديولوجيا والثقافة وأدوار الجنس الى البنيات الاقتصادية والاجتماعية كما يذهب إليه بيار أنسارت(1974، Pierre Ansart)، وهنا نستنتج أن النسق الأبوي خضع لشمولية خاصة مع تطور الحياة الحضرية وما يقتضيه التنظيم الاقتصادي مع ظهور الرأسمالية.

وما يمكن استخلاصه هو أن توزيع الأدوار التقليدية يعود إلى أصل العائلة والمجتمع الأبوي للنيوليتكية، إذ اجتاح التقسيم الجنسي للعمل كل نسق ثانوي للمجتمع، وهو ما أكد عليه دوركايم في أطروحته حول تقسيم العمل الاجتماعي، بتوزيع تقسيم العمل إلى أنساق ثانوية متمايزة منها ثقافية، صحية تعليمية، سياسية، والتي تقوم بوظائف كانت في الماضي حصرا على العائلة الأبوية.

إلى جانب عامل آخر في تحديد هذه العلاقة، أن الأنوثة والذكورة ليست معطيات بيولوجية لكنها نتاج عملية تاريخية طويلة، فهي في كل فترة تاريخية تتخذ الأنوثة والذكورة تعريفا مختلفا يعتمد فيها على نمط الإنتاج في تلك الفترات...وعليه يطور الرجال والنساء علاقة مختلفة وعيا بأجسادهم، لذلك ففي المجتمعات الامومية تم تفسير الأنوثة بوصفها نموذجا اجتماعيا للإنتاج باعتباره العنصر الفاعل الأساسي في تكوين الحياة، فكل النساء يصنفن أمهات لكن مفهوم الأمهات له معان مختلفة، حيث أنه في ظل النظام الرأسمالي كل النساء تم تصنيفهن اجتماعيا بربات البيوت، بينما كل الرجال يصنفون أرباب أسر. والامومة هنا تعتبر جزء من مفهوم ربة المنزل، وعليه يكمن الفرق بين التعريف المبكر للأنوثة في المجتمعات الامومية والتعريف الحديث لها في أن الأمومة تعتبر في التعريفات الحديثة فرعا لكل نشاط وإبداع وقيمة إنتاجية للإنسان. (Marina Mies, 1988 :73)

الخاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نعرض الاشكالية المرتبطة بتقسيم العمل والأدوار بين الجنسين بالوقوف على التفسيرات المرتبطة بها من خلال اقترابات متعددة منها الاتجاه البيولوجي، الثقافي، السيكولوجي، الاجتماعي والأنثربولوجي، واعتمدنا بالتحليل والاستقراء على المحددات المختلفة التي جسدت ظاهرة تقسيم العمل بين الجنسين عبر تطور الإنسانية، وقد تبين أن هذه المحددات كان لها الدور الوظيفي في إنتاج وإعادة إنتاج هذه الظاهرة والتي تقوم أساسا على مبدأ التمايز الجنسي وبكل ما تتضمنه العلاقة بين الذكر والأنثى حيث يبقى التوجيه الذكري العامل السائد والطاغي باعتباره من

المسلمات التي تحافظ على توازن التنظيم الاجتماعي، وبالنظر الى دور المرأة مكملا لدور الرجل وفي مرتبة التبعية، ويتولى كل من الرجل والمرأة وظائف تخص كل واحد منهما، وتعتبر الذكورة والأنوثة مبدأين عالميين ينظمان الكون بتوزيع الأدوار والوظائف. كما تبين أن الدور الاجتماعي هو تجليات لحالات تاريخية يتحول إلى معطى بيولوجي وهوية ثابتة نتيجة عمليات تكرار مستمرة، ليتحول فيما بعد إلى شيء طبيعي ومألوف ويصعب معه التمييز بين المستويين البيولوجي والاجتماعي، وهو ما تحمله البنية الذهنية داخل المجتمعات الذكورية وفي المجتمعات ذات النظام الأبوي، فإنها تقوم بشكل مستمر بإعادة إنتاج ما يحفظ بقاء هذه البنية ودوام استمرارها.
وعليه تكون هذه الدراسة مساهمة في إضفاء المزيد من الأضواء لتقليص حجم الفجوة بين المرأة والرجل، والازدهار بالدراسات الجندرية خاصة منها حول الهوية الجنسانية والتمثلات الاجتماعية، ومن أجل استكشاف التحديات القديمة والجديدة المتعلقة بالمرأة التي تشكل عضوا أساسيا في المجتمع لأهمية دورها الذي دورها لا يقل عن دور الرجل باعتبارها تمثل نصف الموارد البشرية في المجتمع.

المراجع:

بورديو بيار، (2009). **الهيمنة الذكورية**. ترجمة سلمان قعفراني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
حوسو عصمت محمد، (2009).**الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية**.ط1. عمان: دار الشروط للنشر والتوزيع.
كنعان سوسن عبد الكريم أحمد، (2014).**التوجهات حول تقسيم العمل المنزلي بين الأزواج: حالة الزوجات الفلسطينيات العاملات**، رسالة ماجستير، جامعة برزيت، كلية الدراسات العليا، معهد درا سات المرأة.
سعيد كمال، (1977). «تأثير التنشئة الاجتماعية على أداء المرأة لدورها».**المجلة الاجتماعية القومية**، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، المجلد الرابع عشر، الأعداد(1-3)، ص.ص 231-266.
الساعاتي سامية حسن، (1977). «اغتراب المرأة في علم الاجتماع المعاصر، تحليلا اجتماعيا لمظاهره وأسبابه».**المجلة الاجتماعية القومية**، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، المجلد الرابع عشر، الأعداد (1-3)، ص.ص 185-208.
الساعاتي سامية حسن، (1983). **الثقافة والشخصية: بحث في علم الاجتماع الثقافي**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

العبيد يمنى، (1980). «مشكلة المرأة أم مشكلة العلاقة».**مجلة الفكر العربي،** معهد الإنماء العربي، الأعداد (17-18)، سبتمبر/ديسمبر، ص.ص 25 -46.

Adas Michael, (2001).Agricultural and Pastoral Societies in Ancient and Classical History. Philadelphia: Temple University Press.

Andrée Michel, (1977). Femmes, Sexisme et Société. Paris: PUF.

Andrée Michel, (1978).Les femmes dans la société marchande. Paris : PUF.

Ansart Pierre, (1974). Les idéologies politiques. Paris : PUF.

ButlerJudith,(1988).«Performative Acts and Gender Constitution: An Essay in Phenomenology and Feminist Theory», Theatre Journal, The Johns Hopkins University Press, vol 40, no. 4, p.p.519-531.

Barrière Maurisson M.A, et al, (1984) .Le sexe du travail, Structures familiales et système productif. Presse Universitaire de Grenoble.

Bourdieu Pierre, (1970). Sociologie de l'Algérie, Que sais-je ? N°=802.Paris : Le point de connaissance actuelle.

Bourdieu Pierre, (1980). Le sens pratique. Paris : édition de Minuit.

Cahiers Internationaux de sociologie, (1984). Paris ،Vol LXXVI ،Trente-sept unième année ،Janvier-Février.

CHARRON Hélène,(2011). La sociologie entre nature et culture. 1898-1914. Genre et évolution sociale dans l'Année sociologique. Laval : Presses de l'université de Laval.

Duval Thérèse, (1978). 99.9 % des femmes au travail finissent toujours par dire O.K. Boss. Montréal : Libre Expression.

Fridman Betty, (1969).Les femmes à la recherche d'une quatrième dimension. Paris : Diffusion Denoël.

Kon Igor, (1975). "Les femmes au travail : L'égalité dans la différence». Revue Internationale des sciences sociales, UNESCO, Vol XXVII, N°=4, p. p 700 -711.

Laurent Alaine, (1975). Féminin ،Masculin ،Le nouvel équilibre. Paris : édition du Seuil.

La condition Féminine, (1978).Paris: Centre d'étude et de recherche marsciste, éditions sociales.
Markale Jean, (1973).La femme celte : Mythe de sociologie .Paris: Payot.
Mead Margreat, (1966).L'un et l'autre sexe. Paris : éditions Gonthier.
Mies Marina, (1988). "The Social Origins of sexual Division of Labour». In : Mies. M, Bennholdt-Thomsen,V., Werlhof.C.von). Womens : The Last Colony. London : Zed Books.p.p 67- 95.
Moun Edgar, (1964).Le geste et la parole, Tome I. Paris : Flammarion,
Moun Edgar, (1973). Le paradigme perdu : La nature humaine.
Paris: édition le Seuil.
Piettre A, 1974). La condition féminine à travers les âges. Paris: éditions France-Empire.
Reed Evelyne, (1979). Féminisme et Anthropologie, collection femme. Paris : édition Denoël.
Sartin Pierre, (1964). La promotion des femmes ،collection des grands problèmes. Paris Hachette librairie. :
Segalen Martine, (1981). Sociologie de la famille ،collection PUF.Paris : Armand Colin.
Servier Jean, (1985). Tradition et civilisation berbère. France : édition Monaco.
Sullerot Evelyne, (1978). Le fait féminin. Paris : Fayard Librairie Athènes ،Centre Royaumont pour une science de l'homme.
Testart Alain, (2014), L'amazone et la cuisinière. Anthropologie de la division sexuelle du travail. Paris : Gallimard.

للإحالة على هذا المقال:
- **وهيبة عيساوة،** (2021)، « إطار تفسيري لإشكالية تقسيم العمل والأدوار بين الجنسين». **المواقف،** المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 52- 76.